

الاستاذ : مختار قندوز

الدرس السادس : تحليل نص موجه لطلبة السنة الثانية (الافواج 13.12.09.08.07)

قصيدة في مدخل الحمراء لنزار قباني

في مدخل الحمراء كان لقاءنا ما أطيب اللقيا بلا ميعاد
عينان سوداوان في حجرهما تتوالد الأبعاد من أبعاد
هل أنت إسبانية ؟ ساءلتها قالت: وفي غرناطة ميلادي
غرناطة؟ وصحت قرون سبعة في تينك العينين.. بعد رقاد
وأمية راياتها مرفوعة وجيادها موصولة بجياد
ما أغرب التاريخ كيف أعادني لحفيدة سمراء من أحفادي
وجه دمشق رأيت خلاله أجفان بلقيس وجيد سعاد
ورأيت منزلنا القديم وحجرة كانت بها أُمي تمد وسادي
والياسمينه رصعت بنجومها والبركة الذهبية الإنشاد
ودمشق، أين تكون؟ قلت ترينها في شعرك المنساب ..نهر سواد
في وجهك العربي، في الثغر الذي ما زال مختزناً شمس بلادتي
في طيب "جنات العريف" ومائها في الفل، في الريحان، في الكباد
سارت معي.. والشعر يلهث خلفها كسنابل تركت بغير حصاد
يتألق القرط الطويل بجيدها مثل الشموع بليلة الميلاد..
ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي وورائي التاريخ كوم رماد
الزخرفات.. أكاد أسمع نبضها والزركشات على السقوف تنادي

قالت: هنا "الحمراء" زهو جدودنا فاقراً على جدرانها أمجادي
أمجادها؟ ومسحت جرحاً نازفاً ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة أدركت أن الذين عنتم أجدادي
عانقت فيها عندما ودعتها رجلاً يسمى "طارق بن زياد"

التعريف بالشاعر :

نزار توفيق قباني ولد في حي الشحم أحد أحياء دمشق القديمة بتاريخ 1923/3/21م من أب
عدّ من رجالات الثورة السورية الأمجاد . حصل على شهادة البكالوريوس ثم التحق بكلية
الحقوق بالجامعة السورية وتخرج فيها عام 1945م . عمل في وزارة الخارجية السورية
كدبلوماسي ، ثم سفيراً لسوريا في لندن .
تزوج مرتين وكانت الزوجة الثانية بلقيس العراقية التي استشهدت في انفجار السفارة العراقية
في بيروت عام 1982م . وكان لوفاتها أثراً نفسياً عنده فرثاها بقصيدته المشهورة
" بلقيس " يحمل فيها الوطن العربي كله مسؤولية قتلها .
بدأ نزار الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره، له من دواوين الشعر أكثر من ثلاثين
ديواناً أهمها: (قالت لي السمراء) ، و (طفولة نهد) ، و (الرسم بالكلمات) . وله من
الكتب النثرية :

(قصتي مع الشعر) ، و (ما هو الشعر) .
أعتبر نزار قباني شاعر الحب والمرأة ، ولم تخلُ قصائده من الوطنيات فتغنى لفلسطين وقد
اتسم شعره بالسهولة والنقد السياسي اللاذع . كما أعتبر أمير الشعر الغنائي على مدى أربعين
عاماً مضت تسابق خلالها المطربون للحصول على قصائده .
كانت حياته مليئة بالصدمات والمعارك والتطورات السياسية الخطيرة على رأسها نكبة عام
1948م ونكسة عام 1968م سقطت فلسطين بيد الاحتلال الإسرائيلي والتي أحكمت احتلالها
لهضبة الجولان السورية . وكان لتلك الأحداث الأثر الكبير في تحول شعره وخروجه من مخدع
المرأة إلى عالم السياسة والنقد اللاذع . استقر الشاعر نزار قباني في الأعوام الخمسة عشرة
الأخيرة في لندن والتي اتخذها ساحة لكتابة شعره السياسي خاصة خلال التسعينات حيث كتب
: متى يعلنون وفاة العرب ، والمهرولون .

وافته المنية في لندن بتاريخ 1998/4/30م عن عمر يناهز 75 عاماً قضى الخمسين منها بين
الحب والفن والسياسة والغضب .

جو النص ومناسبة القصيدة (غرناطة) :

يقف الشاعر نزار قباني على آثار العرب في غرناطة ، والتي باتت رمزا لضياح الأوطان ، وتذكر أمجاد العرب وعزهم . التقى نزار قباني بفتاة إسبانية على مدخل قصر الحمراء ، تفخر بتراث أجدادها وحضارتهم ، مما أثارت مشاعره وأحزانه مستحضرا أمجاد العرب والمسلمين وخلفاء بني أمية وقادتهم وعلى رأسهم طارق بن زياد فاتح الأندلس . يتحسر فيها الشاعر على خروج المسلمين منها وما آلت إليه أحوالهم .

قصر الحمراء : آية من الجمال وتحفة رائعة بناه محمد بن الأحمر في غرناطة إحدى مدن الأندلس في إسبانيا ، يعد مثالا رائعا على فن العمارة الإسلامية والذي ما زال ماثلا حتى يومنا هذا .

عندما زار نزار قباني قصر الحمراء ...أخذت المرشدة السياحية تتحدث عن التاريخ ، وأن هذا القصر من تركة وتاريخ أجدادها الأسبان كما زعمت ...فاستغرب نزار ...
وقيل أن القصيدة كتبت مساء السبت الثامن عشر من مارس 63 م بعد أن زار السفير السوري في مدريد وزوجته ونزار مدينة غرناطة وقضوا فيها يومين ...والقصيدة تحمل لمحة من الحزن ، اعتبرها الكثيرون تأثرا بجلال المكان وذكريات ضياح غرناطة ..
ماحكاية القصيدة ؟

باختصار كان نزار قباني يزور اسبانيا (بلاد الأندلس) في عصر المسلمين قبل سبعة قرون ،، وكانت الأندلس مهد الحضارات والإبداع والعلم والفن ،، وذهب الكثيرون إلى أن تطور أوربا بسبب الأندلس التي ساهمت في بناء أوربا ،، إضافة إلى ماكانت تتمتع به من أمور كانت الطبيعة فيها رائعة والقصور وغيرها من أمور حضارية جميلة ،، على كل حال زار قباني اسبانيا في هذا العصر ،، وذهب إلى قصر الحمراء الموجود في غرناطة ،، وهذا القصر إلى الآن موجود في اسبانيا بناه المسلمون،، عموما حينما ذهب قباني إلى قصر الحمراء ،، وهو يتجول فيه وجد فتاة ،، ولن أكمل ماحصل ،، فلعلكم تقرؤونه فيما يلي من شرح للقصيدة من خلال الأبيات ،، وأود أن أذكركم أن القصة هذه حقيقية حسبما سمعت من أكثر من مصدر

شرح القصيدة:

في مدخل الحمراء كان لقائنا .. ما أطيب اللقاء بلا ميعاد

هنا يقول نزار أني كنتُ أريد أن ادخل قصر الحمراء ،، ولما أردت أن ادخل من عند الباب وجدتُ فتاة ،، فهو هنا يقول وجدتُها عند مدخل الحمراء ،، ويقول ما أجمل هذا اللقاء وما أطيبه حيث تم من دون ميعاد بل جاء صدفه ،، وكأنه هنا يقول أن الفتاة هذه قد أحببتها صدفة حينما وجدها عند باب قصر الحمراء .

عينان سوداوان في حجرهما .. تتوالد الأبعاد من أبعاد

يقول أن هذه الفتاة عيونها سوداء ومتألئة من بعيد لمحت هذه العيون السود ،، ويقول لأن عيونها سوداء استبعدت أن تكون اسبانية ومن المؤكد أنها من الشرق أو أنها عربية ،، فالأسبان عيونهم خضراء وزرقاء ،، المهم قال لهذه الفتاة :

هل أنت إسبانية؟ ساءلتها .. قالت: وفي غرناطة ميلادي

يقول أني سألتها لما شاهدت عيناها أريد أن أتأكد هل هي فعلا اسبانية أم لا ،، فقال لها أيتها الفتاة هل أنتِ أسبانية ،، وبردة فعل منها وبتعجب ،، قالت : وفي غرناطة ميلادي ،، كأنها تقول أنا لست اسبانية فقط بل من غرناطة ،، كقول النجدي حينما يسأل هل أنت سعودي يقول سعودي ومن نجد أي من مدى انه سعودي هو من نجد ،، بحيث لايمكن أن يكون هناك مدخل للشكوك بأنه ليس سعودي ،، فلذلك قالت وفي غرناطة ميلادي أي أنا ولدت في غرناطة وموطني أسبانيا ،، ولما قالت هكذا أدرك شيئا كبيرا نزار ،، وقال

غرناطة!؟ وصحت قرون سبعة .. في تينك العينين.. بعد رقاد

[illegible]

وأمية راياتها مرفوعة .. وجيادها موصولة بجياد
هنا يتكلم عن بني أمية الذين حكموا هذه البلاد وفتحوها عن طريق عبدالرحمن الداخل

ما أغرب التاريخ كيف أعادني .. لحفيدة سمراء من أحفادي
هنا يقول ما أغربك أيها التاريخ كيف أعدتني إلى فتاة كان أبي أبيها واحد ،، كيف أعدتني إلى أن
نرى بعض ونحن أحفاد لأب واحد ،، كيف أعدتني إلى هذه العربية التي تجمعنا وحدة الدم
والإخوة ،، فهو يقول لحفيدة من أحفادي ، وهنا يقول سمراء ،، (ويقال في العربية أن السمراء
هي البيضاء) ،، أو أن نزار أراد أن يقول سمراء ،، قياسا بما يقوله الغرب ،، فالأبيض لدينا في
العرب يقول عنه الغربيون أنه اسمر وليس ابيض قياسا ببياضهم .

وجه دمشقي رأيت خلاله .. أجفان بلقيس وجيد سعاد
يقول هنا أني لما شاهدتها وقالت أني من غرناطة وعرفت ان عيناها سوداء ،، بدأت تتبين لي
أشياء من ضمنها وجهها وجه دمشقية عربية ورأيت فيها أجفان بلقيس ملكة سبأ وجيد
سعاد المحبوبة والعربية التي يضرب بجمالها المثل

ورأيت منزلنا القديم وحجرة .. كانت بها أمي تمد وسادي
بعد ذلك بدأ نزار قباني يتمشى في قصر الحمراء ،، ويقول رأيت غرفة ،، وتخيل انها غرفته
ويقول رأيت ان هناك منزل وهناك حجرة كانت أمي توسدني وتمد تلك الوسادة كي أنام

والياسمينه رصعت بنجومها .. والبركة الذهبية الإنشاد
وهنا يصف الياسمينه ولعلها السقوف ،، ويصف البركة الموجودة في القصر .
لما تعرف نزار على هذه الفتاة التي هي من أصول عربية ،، قال لها أنني من دمشق ،، سألتها
الفتاة الاسبانية (العربية الاصل) يانزار هذه دمشق التي تقول انك منها ، أين تقع !!؟
فصمت نزار وراح يكتفم عبراته وأخذ يقول في قلبه وهو صامت لم يرد على سؤال تلك الفتاة
البريئة التي حتى الآن لم تعرف شيئا عما في قلب نزار
فسأترككم مع هذا الحوار ،، وما قاله نزار بصدرة بعد أن صمت بعد سؤالها عن دمشق أين
تكون :

ودمشق، أين تكون؟ قلت ترينها .. في شعرك المنساب.. نهر سواد
وفي وجهك العربي، في الثغر .. الذي ما زال مختزناً شمس بلاد
في طيب «جنات العريف» ومائها .. في الفل، في الريحان، في الكباد

هنا يقول لها بصدرة دون أن يوجه الكلام إليها دمشق ياسيدتي هي أنتِ انظري إلى شعرك
الأسود انظري إلى وجهك العربي انظري إلى ثغرك الذي مختزن تلك الذكريات المجيدة العربية
انظري إلى الجنات إلى الرياحين وغيرها من الامتيازات التي تتميز بها معالم العرب

**سارت معي.. والشعر يلهث .. خلفها كسنا بل تركت بغير حصاد
يتألق القرط الطويل بجيدها .. مثل الشموع بليلة الميلاد**

يقول سارت معي ،، أي مشينا جميعا ،، ونحن نمشي يلهث شعرها خلف ظهرها كأنها سنا بل
طويلة تركت ولم تحصد .

ومشيت مثل الطفل خلف دليتي .. وورائي التاريخ كوم رماد

يقول أخذت بيدي هذه الفتاة حيث لا أعلم ،، يقول مشيت خلفها لتدلني الطريق حيث نذهب ،،
يقول مشيت خلفها كالطفل الذي يمشي خلف أمه ،، وأنا امشي أتذكر ذلك التاريخ المجيد الذي
أصبح رمادا الآن ،، وأنا امشي والذكريات تمر إمام مخيلتي

الزخرفات.. أكاد أسمع نبضها .. والزركشات على السقوف تنادي

يقول وأنا امشي خلف هذه الفتاة كأني اسمع نقوش وزخرفات التي تنقش أيام العرب بل أني الآن
وأنا اشاهدها بأمر عيني كأني اسمعها تنبض ،، وها أنا الآن أشاهد الزركشات التي في السقوف
كأنني بي تنادي ، على كل حال نزار قباني الآن هو مازال يمضي خلف هذه الفتاة التي يقول عنها
انه يمضي خلفها كأنه طفل يمضي خلف رجل ،، وهو في طريقه لا يعلم أين تريد هذه الفتاة أن
تأخذه ،، كل ما يعرفه نزار أن هذه الفتاة تريد أن تأخذه لأمر لا يعلم ما هو ،، ولكنه يقول لامانع
سأمشي معها الآن وسأرى مالذي تريد أن تريني إياه .

قالت: هنا «الحمراء» زهو جدودنا .. فاقراً على جدرانها أمجادي

ولما وصلت إلى المكان الذي تريد أن تريني،، قالت تلك الفتاة الاسبانية مفتخرة ومتباهية ،، قالت
هنا الحمراء ،، كأنها تقول أيها السائح الذي أتيت لتزور اسبانيا تعال وانظر هنا الحمراء زهو
جدودنا فإقرء على جدرانها أمجادي،، انظر إلى هذه الجدران كيف بناها آبائنا الأسبان انظر
كيف أبدعوا انظر أيها السائح إليها ،، الآن نزار اندهش واضطرب وقال بكل حسرة وألم :

أمجادها؟ ومسحت جرحاً نازفاً .. ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي

أمجادها ،، أي أمجاد تتحدث هذه الفتاة التي تقول تعال وانظر إلى أمجادنا الاسبانية ،، ألا تعلم
هذه الفتاة أن أمجادها هذه الذي بنوها آبائنا العرب ،، إلا تعلم إنها عربية ،، انها لا تعلم ،، فقد

كانت تظن ان الذين بنوها هم الاسبان ،، ويقول لما قالت ذلك الامر مسحت جرح نازف بقلبي وهو جرح اخر غير ذلك الجرح ،، ولما قالت ذلك ولما تعجب من قولها ،، ولما مسح الجرح الذي في فؤاده ،، قال

يا ليت وارثتي الجميلة أدركت .. ان الذين عنتهم أجدادي

يقول ياليت هذه الفتاة التي جعلت ألامي تفتخر ونزهو.. تقول انظر إلى أمجاد آبائي الأسبان ،، باليتها أدركت أنها عربية ياليت هذه الفتاة الوارثة التي هي من أصلاب العرب ،، أن هؤلاء الذين بنوا الحمراء هم أجدادي وأجدادها العرب وليسوا الأسبان ولكنها لاتعلم ولاتدرك ذلك ،، فهي ولدت اسبانية ولاتعرف أن أصلها عربي ،، وأن هذه القصور ليست اسبانية إنما هي عربية ،، وبعد أن مر وقت وربما اخبرها نزار أو لم يخبرها ولما حان وقت الرحيل جاء يريد إن يعانق هذه الفتاة التي أصولها عربية وكانت لاتعلم ذلك ،، يقول :

عانقت فيها عندما ودعتها .. رجلاً يسمى «طارق بن زياد»

وطارق بن زياد هو الذي قاد الجيش العربي لفتح الاندلس

تبرز في القصيدة ثلاثة ملامح فنية أساسية:

أولها: اختلاط الأبعاد الزمانية والمكانية، وتمدد اللحظة الشعرية الآنية لتشمل مجمل التاريخ العربي الإسلامي، أو بالمعنى: تداخل الصلات - أو الوصلات إن شئنا - التاريخية بين الماضي والحاضر وانصهارها معاً في بوتقة اللحظة الشعرية.

ثانيهما: الاتكاء على المرأة والتاريخ كإطار للتجربة الشعرية.

ثالثهما: تضافر الدلالات الظاهرة والمباشرة للألفاظ لإبراز دلالاتها المعنوية العميقة.

هذه الملامح الأساسية الثلاثة التي تحد طبيعة التجربة وتغلفها وتحصرها بداخلها هي نفسها التي تشف عن وعي الشاعر واستبصاره لحقيقتين اثنتين هما:

- 1- اللحظة الشعرية التي يقف فيها أمام امرأة أسبانية الموطن عربية المحتد والأرومة.
 - 2- التاريخ العربي بمجمله بما يشتمل عليه من انتصارات و انكسارات.
- و لعل قراءتنا للقصيدة لن تتخطى النظر في الملامح الثلاثة تلك.